

والأوصاف لتظهر لنا جليلة قبل أن نتساءل عنها، وذلك باعتماد النصوص التي يقدمها لنا:

1 - الأقسام: الرسالة - الخطبة - الاحتجاج - الخبر - القصة - الحديث - النادرة - الملحة.

2 - الصفات: العجيب - اللطيف - الطريف - البديع - النادر.

3 - الأغراض: الهزل - اللهو - الضحك - الجد - التعرف - الاستفادة.

يرجع تقسيمنا لمختلف المصطلحات التي وظفها الجاحظ هنا إلى هذا التقسيم بناء على توظيف الجاحظ نفسه. فهو يعدد أقسام الكلام (كلام البخلاء) في مرحلة، أو في مستوى أول، وفي مستوى ثان، يقدم لنا أوصاف هذه الأقسام: فهو يصف أقوالهم التي يتكلمون بها، وأفعالهم التي بها يقومون. فمن أقوالهم نجد:

- الرسالة/ الاحتجاج/ الحديث/ الخطبة. وكل هذه المصطلحات نجدها منسوبة إلى شخصيات معروفة: (احتجاج الكندي - رسالة سهل بن هارون - خطبة الحارثي...).

ومن الأفعال التي تنسب إليهم ويتداوله الناس عنهم ما نجده كامنا في:

- الخبر - القصة - النادرة - الملحة.

وفي تقسيمنا للقول والفعل نركز على العناصر المهيمنة المميزة في كل قسم منهما، إذ نجد القول والفعل موجودين فيهما معا.

وإلى جانب هذين القسمين نعاين أن مجموعة من الصفات نعت بها كل منهما فالحديث وصف بالنادر، والاحتجاج بالطريف، وفعلهم بالبديع والطريف معا، كما وصفت النادرة بالعجيب، وأقوالهم بالعجيب كذلك. بمعنى أن هذه الصفات يوسم بها القسمان معا، إذ يمكننا على سبيل المثال أن نصف الخبر بالطريف، والحديث كذلك. فنقول خبر طريف، وحديث طريف. وكما تشترك الأقوال والأفعال في الصفات تشترك في الغرض (بالمعنى الذي رأيناه عند الخفاجي وهو يتحدث عن الصنائع). فأقوال البخلاء وأفعالهم تقدم، كما فعل الجاحظ، لتحقيق أغراض محددة. فالذي يريد الهزل والضحك سيجده في طريف أقوالهم، وعجيب